

عزة الحسن، رام الله
دينا غزال، رام الله
فاتن فوزي نسطاس، بيت لحم
جمانة إميل عبود، شفاعمرو
نداء خوري، فسوطه
نوال جبور، الناصرة
رنا بشاره، ترشيحا
سهير إسماعيل، الدهيشه

فلسطين (ة)

فن المرأة في فلسطين

الناصره، رام الله، بيت لحم، فسوطه، شفاعمرو، ترشيحا، الدهيشه: ثماني نساء مُبدعات من طرقي الخط الأخضر في حيز جغرافي - ثقافي - سياسي يُدعى فلسطين. نساء فلسطينيات، نقطة... لسن عربيات إسرائيليات، ولسن عربيات يحملن الهوية الإسرائيلية، ولسن لاجئات، ولسن مهاجرات، لسن منفيات، ولسن من بنات الأقليات، لسن عربيات الـ 48، ولسن من عائدات اتفاقيات أوسلو، ولسن من سكان المنطقة - A أو المنطقة - B.

يعرضن في تل أبيب في معرض إسرائيلي أعمالاً فنية فلسطينية؛ عملاً إنشائياً، نحتاً، شعراً، سينما وثائقية، تصويراً، نصوصاً في اللغة العربية. وهو في الأساس محادثة داخلية بين نساء مُبدعات، وهو جزء من حوار فلسطيني داخلي أوسع حول الهوية، والثقافة، والفن الفلسطيني. حوار باللغة العربية حول الثقافة العربية، حوار يتكوّن في أعماق الداخل ويخفق في نقطة غليان لوضع من الضائقة الذاتية والسياسية على حدّ سواء.

ويُنقل هذا الحوار بالوساطة مترجماً إلى العبرية والإنكليزية. وبوساطة أمينة معرض إسرائيلية - يهودية لا يمكنها تمويه موقف القوة الموضع/المنظم/الممول لهذا المعرض. وتنطوي في ثنايا ظروف هذه الدعوة علاقات الاحتلال والمحتل، النظرة إلى "الآخر" وامتلاكه، وعدم مقدرتها على تكوين نقطة صفر خيالية تصل من خلالها صفحة بيضاء نقية للقاء مع نساء مُبدعات فلسطينيات.

وبالنسبة إليّ، فإن فضاء المعرض هو فضاء فلسطيني بالتعريف. منطقة فلسطينية لزمان محدّد، مَحمية مؤقتة لبضعة أسابيع تحميها القوانين غير المكتوبة للفنون البصرية. قوانين تمكّن الشيء ذاته من أن يتكوّن بمجرد تعرّضه للضوء، وبمجرد وجود المنظور ولمجرّد الرغبة في الرؤية.

وبالنسبة إليّ وإلى المُبدعات، يشكّل ذلك عملية من التعرّف والتعارف إلى نساء فلسطينيات مُبدعات، يلتقي بعضهنّ في هذا المعرض للمرّة الأولى. ومع غياب حيز مشترك حيث يستطعن منح التمثيل والتعبير لما هو مشترك ولما هو مختلف في أعمالهنّ، تُمارس الثقافة الفلسطينية - المتمركزة في صلب النتاج الخاصّ لكلّ منهنّ - على انفراد.

يحاول الاحتلال الإسرائيلي، الثقافي والفعل، في طرفي الخط الأخضر، أن يمحو، ينظف ويخرج كل مؤشر لثقافة فلسطينية بصرية من الحيز العام الذي يُتجنّ فيه. ممارسات العزل، منع العلاقات، تصاريح الدخول والخروج، الحواجز، عدم توافر الحضور المادي، كل هذه الأمور تعسّر عملية خلق حيز ثقافي حيث يستطيع اللقاء. وضعية قائمة لا تتيح الحوار الداخلي، وخلق خطاب، أو خلق شبكة من العلاقات. ثمّة بعض فضاءات للعرض في مناطق السلطة الفلسطينية، ولكنهنّ، في الغالب، يعرضن أعمالهنّ في الخارج. ويلتقين في محمية بديلة حيث يستطيعن ممارسة حوار فلسطيني داخلي منعزل عن حدوده الجغرافية.

سوف يتمّ عرض هذه الأعمال في كانون الثاني من عام 1999 في الواسطي – مركز الفنون في القدس الشرقية. وليس بوسع هذه الحقيقة الإشارة إلى وجود أيّ شكل من أشكال التطبيع أو التبادلية. فليس هذا العمل مشروعاً من التعاون المشترك. وتحفظ المبدعات الفلسطينيات من أيّ مدلول كلامي يُمكن الجهاز السياسي الإسرائيلي من استثمار أيّ حدث ثقافي من أجل إثبات استمرارية العملية السلمية، على الضدّ، تماماً، من وضع الجمود السياسي ومن الوضع الشخصي والسياسي الشاقّ على أرض الواقع.

يصف اسم المعرض "فلسطين (ة)" حيزاً جغرافياً-ثقافياً ذا شكل قواعد مؤنث في اللغتين العربية والعبرية على السواء. وهذا منظور نسائي. لغة نسائية مؤطرة بقوسين. تظهر تاء التأنيث في آخر الكلمة. فقد تمّ تعريف المضمون وترميزه وتحديد مسبقاً. ويخلق هذا الشكل منظوراً تراجعياً، وقراءة استرجاعية للمعادلة X (ة). هي محاولة لإعادة تعريف المصطلح من خلال قراءة إلى الوراء، محاولة لمنحه مفهوماً آخر يحوي في داخله كلاً من الذات والصوت النسائيين.

ثمّة وظيفة مركزية للمدلولات اللفظية في واقع الاحتلال الإسرائيلي: الوسط العربي، الخط الأخضر، الضغط الجسديّ المعتدل، قنبلة موقوتة، محرك أمني، تطبيع، طوق شامل، طوق داخلي، طوق رادع، سجناء إداريون، روح الاتفاقية، المناطق، تعاون وما إلى ذلك.

ويرمز اسم المعرض "فلسطين (ة)" إلى إمكانية/رغبة النظر إلى حقل اللغة ليس كمكان للاحتلال فقط، بل، أيضاً، كمكان للتفكيك وإعادة البناء. وعوضاً عن العجز الكلي لتغيير الواقع اليوميّ، تمكّننا اللغة من تكوين واقع آخر يُتيح استمرارية العمل.

هذه مجموعة من أعمال نساء مُبدعات يغيب عن معظمها الجسد النسائي، المكشوف، المتلذذ بالنشوة، الجنسي. وحيث يوجد في بعض الأعمال فإنه بمثابة الحاضر- الغائب. وثمّة حضور له لسبب تلك النظرة المؤشرة إلى غيابه؛ وهو مخفي بعلب تلصص (جمانة إميل عبود)، مرسوم بالشعر (نداء خوري).

ووجهة النظر هي من الجسد نحو الخارج، إلى الحيّزَيْن، الخاصّ والعامّ، حيث توجد وظيفة لجسد المرأة. ويحمل الجسد معه، كحقل من النشاط السياسي، علامات النضال للحرية ويتحوّل إلى رمز يمثل الهوية الفلسطينية وأرض الوطن.

إن الحيّز العامّ، مدينة كان أو قرية فلسطينية أو مستوطنة يهودية، يظهر في مركز العمل ذاته. ويتميّز، بشكل جليّ أو ترميزيّ، المرة تلو الأخرى كـفلسطيني. وتعمل الكاميرا الوثائقية على توثيقه وتملكه، وتمنح "وقت الشاشة" لمن يدعون ملكيّتهم له.

يتنقل استملاك الحيّز وتمييزه كـفلسطيني بين الموقف الفعّال الذي يرى به موقعاً للتفكيك وإعادة البناء (نوال جبور بعملها التصويري لحائط من الطوب بنته في غرفتها وعليه شعارات مكتوبة)، وبين الموقف السُّريالي الحالم الذي يرى به مكاناً للحنين والذاكرة (رسومات لقبر أحد الشيوخ، جمانة إميل عبود)، وحتى الموقف التقليدي الذي يرى به حيّزاً – فلسطينياً – قروياً – تصويرياً – فولكلورياً (دينا غزال، سيراميك القرية الفلسطينية).

يظهر في هذه الأعمال موضوع آخر وهو القصة التاريخية. الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني، في الأفلام الوثائقية (عزة الحسن وسهير إسماعيل)، في كتاب الزواج (رنا بشارة)، وفي يوميات الحاجز (فاتن فوزي نسطاس)، حيث توجد محاولة لمصادرة مركز القاصّ التاريخي. لتخليص التاريخ من الناطقين التقليديين، الرجال. محاولة لتفكيك الرواية القومية – الذكورية لإتاحة مكان لوجهة النظر النسائية وللذات النسائية، للحضور في داخله. هذا بالتوازي مع بناء قصة الإطار: القصة التاريخية، الذاكرة الجماعية للشعب الفلسطيني.

جسد المرأة، الحيّز العامّ، الرواية التاريخية، الذاكرة الجماعية – جميعها معرفة ومُرمّزة في هذه الأعمال، مرة تلو مرة، كـفلسطينية. إن عملية تقرير المصير تحوي في داخلها - ما وراء السياسي، أيضاً - الشخصي الذي يفتش عن نقطة استناد، بيت.

يظهر من خلال هذه الأعمال التوتر بين سلسلة مسائل تتموضع في مركز الحوار النسائي – النسوي (مثل الفصلية الجنسية، الجنسية، الجسد، مكانة المرأة، تحرّر المرأة، اللغة النسائية، الإبداع النسائي) وبين المسألة المركزية: مسألة القومية الفلسطينية.

هل تستطيع المرأة في وضع من الاحتلال الروحاني – الثقافي – المادي التفرّغ لنفسها، لجسدها، لجنسها. بأيّ شكل تستطيع المرأة أن تكون نفسها كذات نسائية داخل جهاز يستثمرها لنضال أكبر: النضال من أجل الحرية؟

طال بن - تسفي، تل أبيب.

1998 عامي شطاينتس – فنّ معاصر، تل أبيب
1999 الواسطي – مركز الفنون، القدس الشرقية